

جورج سيل .. أول مترجم للقرآن الكريم
والرد على أشهر شبهاته فيه



د. رحاب كامل عبد الله الهاشمي
إعداد الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
بجامعة شقراء، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

(جورج سيل .. أول مترجم للقرآن الكريم و الرد على أشهر شبهاته فيه)

أقسام البحث:

القسم الأول: المقدمة

القسم الثاني:

الفصل الأول: التعريف بالمستشرق سيل مع بيان أشهر شبهاته والرد عليها:

المبحث الأول: التعريف بالمستشرق الإنجليزي جورج سيل George Sale وبترجمته للقرآن الكريم

المبحث الثاني: تفصيل شبهة سيل، والرد عليها

القسم الثالث: الخاتمة والفهارس

من نتائج البحث: أن هذا المستشرق قام بأول ترجمة مشهورة للقرآن الكريم الى الإنجليزية

وأوصي بأن تتوجه الجهود للبحث في شبهات المستشرقين مع الردّ عليها.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الردود، جورج سيل

مقدمة:

الحمد لله وليّ كل نعمة ، يمنّ بالتوفيق ثم يثيبُ عليه ، ويلهمُ الحمد ثم يجزي به . فيا

ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، والصلاة والسلام التامان الدائمان

المتلازمان ، على سيدنا محمد النبي الهاشمي خاتم الرسل والنبيين صفوة الله من خلقه وخيرته

من عباده وعلى آل سيدنا محمد وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن رحمة الله التي وسعت كل شيء تظهر آثارها في حياتنا كلها مادةً وروحاً ، ولكن

أعظم هذه الآثار ، وأجلها قدراً وأبقاها ذكراً ، القرآن الكريم ، والذي نال - بفضل الله تعالى -

من الاهتمام والرعاية ما لم ينله أي كتاب آخر على مدى العصور والدهور .

ولما كان لكل متميز حساده ، ولكل متفوقٍ خصومه . بُلي القرآن الكريم بذلك . فلم يقف حساده وخصومه سابقاً بسدّ آذانهم ، واللغو عند سماعه ، ومحاوله معارضته . بل ظهر أبناؤهم وأحفادهم على مرّ العصور والدهور ، يدورون حول نفس الفلك ، فيصوغون الشبهات ، ويطلقون الفريات على هذا الكتاب السماوي المقدس . ومن أبرز هؤلاء الخصوم في الوقت الحالي (المستشرقون) باعتبارهم يتعلمون لغتنا ، ويتغلغلون في ثقافتنا ، ويقراءون كتبنا ، ويطلعون على تراثنا ، ثم يشككون في مبادئنا ، ويحاولون زعزعة ثقتنا في تراثنا ، بل حتى في عقيدتنا .

ومن هنا كان من الأهمية بمكان دراسة مؤلفات (المستشرقين) وتحديد شبهاتهم ، ومن ثم الرد عليها .

ولعل من أبرز المستشرقين الذي ينبغي دراسة شبهاتهم وإظهارها المستشرق الإنجليزي (جورج سيل George Sale) ، وسبب ذلك ، أن هذه المستشرق اشتهر بترجمته للقرآن إلى الإنجليزية في سنة ١٧٣٤ (بدوي ، ١٩٩٢) حيث يُعد أول مترجم للقرآن الكريم ، وهذه الترجمة أعيد طبعها في العصور الحديثة . وفي يناير ٢٠٠٧ ، كان كيث إليسون (١٩٦٣ م) ، أول مسلم يُنتخب في الكونغرس الأمريكي ، حلف اليمين على نسخة قديمة من ترجمة سيل للقرآن ، تبرع بها مكتبة الكونغرس في مطلع القرن ١٩ توماس جفرسون (١٧٤٣ - ١٨٢٦)

أهمية الموضوع :

١) تعلق هذا الموضوع بالدفاع عن كتاب الله تعالى ، الذي يستلزم منا تجلية معانيه ، وبيان إعجازه .

(٢) الشهرة العلمية لجورج سيل ، والتي قد يُجَدِّع بها القارئ فيظن صحة المزاعم التي يطلقها وصدق قوله .

(٣) أن هذا الموضوع يبرز مثلاً لموقف أحد المستشرقين الذين يتكلمون عن علومنا وحضارتنا ، مما يدفعنا إلى أخذ الحيطة والحذر في كل ما يكتبه المستشرقون .

(٤) بيان ما وقفتُ عليه ، وما اجتهدت به من الردود على شبهة هذا المستشرق .

هيكل البحث

القسم الأول: المقدمة : وقد حوت :

(١) موضوع البحث (٢) أهمية موضوع البحث

(٣) هيكل البحث (٤) منهج البحث

القسم الثاني : محتويات البحث :

الفصل الأول : التعريف بالمستشرق سيل مع بيان أشهر شبهاته والرد عليها . ويحتوي على المباحث التالية :

المبحث الأول : التعريف بالمستشرق الإنجليزي (جورج سيل George Sale) وبترجمته للقرآن الكريم .

المبحث الثاني : تفصيل شبهة سيل ، والرد عليها .

القسم الثالث : الخاتمة : وفيها خلاصة البحث ونتائجه وتوصياته .

المنهج المتبع في البحث :

- ١) كتبتُ الآيات القرآنية برسم المصحف العثماني .
 - ٢) ضبطتُ من النص ما يحتاج إلى ضبط مراعية في ذلك القواعد النحوية و الإملائية ،
وعلامات الترقيم .
 - ٣) كتبتُ أسماء الأعلام من المستشرقين باللغة الإنجليزية -قدراتي-
لتضحية طريقة نطقها .
 - ٤) جعلتُ للبحث فهرس لتيسير عملية البحث فيه .
- وفي الختام :

إن مما يجب علي ذكره في هذه الخاتمة أن هذا البحث محاولة يعترها ما يعترني كل محاولة من
إصابة وخطأ ، وتما ونقص ، واستيفاء وتقصير .
غير أن عزائي أني اجتهدتُ على قدر وسعي وما تبلغه طاقتي ، فإن أصبتُ فبفضل
الله وبرحمته - فله تعالى الفضل والشكر - ، وإن أخطأتُ فمن نفسي والشيطان - فاستغفر الله
وأتوب إليه -

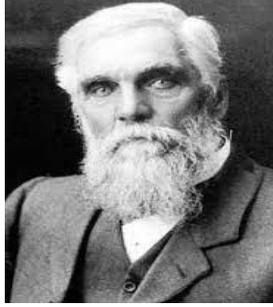
وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم

جورج سيل .. أول مترجم للقرآن الكريم والرد على أشهر شبهاته

المبحث الأول

التعريف بالمستشرق الإنجليزي (جورج سيل George Sale) وبترجمته للقرآن

الكريم



المطلب الأول: ولادته ونبذة عن حياته ، ثم وفاته

جورج سيل (George Sale) مستشرق إنجليزي اشتهر بترجمته للقرآن الكريم الى الإنجليزية ، ولد في لندن حوالي ١٦٩٧ م . في عام ١٧٢٠ م دخل طالباً في معهد (المعهد الداخلي) الذي كان يضم بين جناحيه (جمعية تنمية المعرفة المسيحية) . وفي ٣٠ أغسطس ١٧٢٦ م عُرض على الجمعية أن يكون أحد المصححين لترجمة العربية للعهد الجديد . وبعد قليل صار هو القائم الرئيسي على هذا العمل ، إلى جانب كونه المستشار القانوني للجمعية . وإلى جانب اتقانه للغة العربية ، كان جورج سيل (George Sale) يتقن اللغة العبرية توفي سيل في لندن ١٧٣٦ م^(١).

(١) موسوعة المستشرقون لعبد الرحمن بدوي ، ص ٢٥٨ .

المطلب الثاني : التعريف بترجمة جورج سيل (George Sale) للقرآن الكريم

نشر سيل ترجمته للقرآن الكريم ١٧٣٤ م أي قبل وفاته بعامين ، بهذا العنوان : (The Koran Commonly Called Alcoran Of Mohammed : Translated into English immediately from the original Arabic , with explanatory notes taken from the most approved commenta-tors to which is prefixed a preliminary discourse by George Sale

وقد قدم سيل بين يدي ترجمته ب (مقال تمهيدي) تحدث فيه عن تاريخ العرب قبل الإسلام وديانتهم ، وعن القرآن ، وقدم لمحة عامة عن أهم الفرق الإسلامية^(١) .

المبحث الثاني

تفصيل شبهة سيل ، والرد عليها

المطلب الأول : شبهة سيل في ترجمته للقرآن الكريم

يقول جورج سيل (George Sale) في مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن التي صدرت عام ١٧٣٦ م ما يأتي: "أما أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح - مع ذلك - أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة. وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك .

(١) موسوعة المستشرقون لعبدالرحمن بدوي ، ص ٢٥٩ .

إذا يتضح مما سبق من كلام سيل أنه يرى أن القرآن الكريم ما هو إلا كتاب مؤلف من قبل النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- حاشا هذا لك. بلويز عما لهذا الرأي الجدي فيه. وهذه فرية عظيمة تستلزم التوضيح والرد .

المطلب الثاني : الرد على هذه الشبهة :

أولاً : نصوص القرآن الكريم تدل على أنه وحي من عند الله تعالى :

من تتبع النصوص القرآنية وجد أنها تشير إلى أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد -صلى الله عليه وسلم- ذلك النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يدع في يوم من الأيام أن القرآن من عنده، وإنما أخبر بأنه كتاب الله تعالى أنزله إليه بواسطة جبريل -عليه السلام^(١).

حيث نجد أن الآيات القرآنية تُصرِّح بأنه لا علاقة لمحمد -صلى الله عليه وسلم- بإنزال

القرآن بل هو عبدٌ مأمور الذات الإلهية، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا

أَجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

﴿[الأعراف: ٢٠٣]، أي إذا لم تأتهم أيها الرسول بآية قرآنية طلبوها منك ، وتراخى الوحي

بإنزالها ، قالوا لولا ألفتها من تلقاء نفسك ، قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي من غير أن يكون

لي دخل في ذلك أصلاً^(٢).

(١) المستشرقون والقرآن الكريم لمحمد بنى عامر ، ص ٢١٧ .

(٢) المستشرقون والقرآن الكريم لمحمد بنى عامر ، ص ٢١٧ .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِفَرَأَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا يَكُونُ لِحَاقٍ مَا بَدَّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنَّ أَتْبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾^(١) أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأَكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ [يونس: ١٥-١٦]، أي أنني عاجز عن الإتيان بآية من الآيات الكونية، وما أنا من المفترين على الله، وإنما أتبع ما يوحى إلي من ربي وما علي إلا البلاغ المبين^(٢).

ثانياً: اختلاف الأسلوب القرآني عن أسلوب السنة:

لقد بلغ القرآن الكريم قمة الفصاحة وذروة البلاغة. حتى عجز من يشار إليهم بالبنان فيها عن مجاراته. وأدركوا أنه البيان الذي لا يُجارى ولا يرقى إليه النقد. كما أن كل من أوتي حظاً من حسّ البيان وذوق البلاغة، يفرق بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث النبوي فرقاً كبيراً يمثل الفرق الكبير بين مقدور الخالق ومقدرو المخلوق. وهما القرآن الكريم والحديث النبوي، لا يزالان قائمين بيننا، يناديان الناس بهذا الفارق البعيد، إن كان لهم إحساس في البيان وذوق في الكلام^(٣).

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٩ / ٥٥١.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، ج ١ / ص ٨٥.

يقول طه حسين : (إن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام : شعر ، ونثر ، وقرآن)^(١) فهو يرى أن أسلوب القرآن يسير طريقاً خاصاً به لا هو بالشعر ، ولا هو بالنثر ولكنه قرآن ، فهو لا يخضع لقواعد النثر ولا قواعد الشعر ، ولكن له خاصية ، تحسها في تركيب ألفاظه لو أراد إنسان أن يقارن بين القرآن والحديث لرأى الفرق واضحاً . والتغاير ظاهراً بينها في أسلوب التعبير وفي الموضوعات ، فحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - تظهر فيه المحادثة والتفهم والتعليم والخطابة في صورها ومعناها المؤلف عند العرب . بخلاف أسلوب القرآن الذي لا يُعرف له شبيه في أساليب العرب^(٢) .

فإذا كان المستشرقون يقولون بأن محمد يأتي بكلام فمرة يقول : أنه قرآن ، ومرة يقول أنه حديث قدسي ، ومرة يقول أنه حديث نبوي ، وصنعوا من ذلك مصدراً تشكيك ، وقالوا أنه حين يروق له أن يقول ذلك حديث قدسي ، يقول ذلك حديث قدسي ، وحين كان يروق له أن يقول ذلك حديث نبوي ، يقول ذلك حديث نبوي^(٣) .

(١) أنظر: بحث جديد عن القرآن لمحمد صبيح ص ١٠٣ .

(٢) الإسلام في قفص الاتهام لشوقي أبو خليل ص ٢٠ .

(٣) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها لمحمد متولي الشعراوي ، ص ٣٦ .

ثالثاً : ما عُرف به النبي -صلى الله عليه وسلم- من شئائل عظيمة وصفات نبيلة أشهرها الصدق والأمانة

إن هؤلاء المستشرقين غاب عنهم أنهم يتحدثون عن أكرم شخصية عرفها التاريخ طُهرًا ونبلاً، وذُهلوا عن أنهم يمسون أسمى مقام اشتهر أمانةً وصدقاً . فكان -صلى الله عليه وسلم- إذا مرَّ بقومه يشيرون إليه بالبنان ويقولون: هذا هو الصادق الأمين. ثم صدروا عن رأيه، ورضوا بحكمه (وذلك عندما اختلفت بطون قريش في وضع الحجر الأسود في مكانه بعد إعادتهم بناء الكعبة، فرضوا بحكم النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يُبعث) والعقل المنصف قال ولا يزال يقول: ما كان هذا الأمين الصدوق ليذر الكذب على الناس ثم يكذب على الله^(١).

رابعاً : تأخر الوحي القرآني عن النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الحاجة إليه

كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يُسأل عن أمور كثيرة ولا يجيب عليها حتى ينزل عليه الوحي من الله، فلو كان القرآن من صنع محمد كما زعم أعداء الإسلام، لكان الجواب حاضراً لكل سؤال في وقته، وكم نزل به من الخطوب وهو صابر لا يتكلم حتى ينزل عليه الوحي^(٢).

من ذلك سؤال قريش له عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، وعن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وعن الروح ما هي ، وكانت قريش قد أرسلت

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، ج ١ / ص ٨٧ .

(٢) محمد أمين بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، ص ٢٢١ .

رجلين من اليهود يسألونهم عن هذا الرسول ، لأنهم أهل كتاب ، فقالوا لهما سلوه عن هذه الأسئلة ، فإذا أخبركم بها فاتبعوه فهو نبي وإلا فهو رجل كاذب .
فسألوا الرسول عن ذلك . فقال : أخبركم بما سألتكم عنه غداً ولم يستثن فانصرفوا عنه ،
فمكث رسول الله - فيما يذكرون - خمس عشر ليلة لا يوحى الله إليه في ذلك شيئاً ، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمداً غداً واليوم خمس عشر ليلة قد أصبحنا منها ،
ولا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحزن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن تأخر الوحي ،
وشق عليه ذلك ، ثم بعد ذلك نزل عليه جبريل بسورة الكهف ، فيها معاتبه إياه على حزنه عليهم ، وجوابه على الأسئلة التي سألوه عنها^(١) .

نقف أمام هذه الحادثة: أسئلة تُطرح على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قريش ، فلو كان الأمر يتعلق به وحده ، ويعلم الجواب لأعطاهم في الحال جواب كل سؤال ، لكن أنى له ذلك^(٢) .

قلت: بل الأعظم من ذلك حادثة الإفك والتي طالت عرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا سيما وأن هذا الأمر طال عرض النبي المرسل الذي يأمر بالفضيلة وينهى عن الرذيلة، فترمى زوجته بما ينهى هو عنه. كيف ستثق الأمة به بعد ذلك. كما أننا نتحدث عن أمة عربية تُقدس الشرف، وتُعيب الفواحش . فالمرأة العربية عندهم قد تسرق ، وتظلم ، وتئد

(١) ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المعافري ، ج ١ / ص ٣٠١ .

(٢) خصائص الدعوة الإسلامية (مصادرها ، عالميتها ، شمولها - دراسة مقارنة - لمحمد أمين حسن محمد ، ص ٦٩ .

ابتتها . لكنها لا تزني أبداً . لأن الزنى والقذف به وصمة عارٍ عند العرب لا تغفرها أبداً . فكيف إذا رُميت به زوجة نبي . ومع ذلك تتأخر الآيات الكريمة التي تبرئ عائشة -رضي الله عنها- ليس أياماً وأسابيع، بل تتأخر شهراً كاملاً، وقيل أكثر . فلو كان القرآن الكريم من تأليف محمد لقام بتأليف آيات يبرئ فيها عرضه مما ناله من إفك . ولما مكث كل هذه الفترة الزمنية يكابد كل هذا العناء النفسي، ويسمع من أعدائه ما يدمي قلبه، ويجرق فؤاده، فأين بلاغته وتأليفه للقرآن -كما يزعمون- ولماذا لم يُسْعِفانه وهو في أمس الحاجة إليهما . إلا أن يكون مايقوله وحي إلهي ينتظر مجيئه بفارغ الصبر .

خامساً : ورود آيات فيها معاتبه للرسول -عليه الصلاة والسلام -

وردت آيات كثيرة في كتاب الله عاتب الله فيها نبيه عليه الصلاة والسلام على بعض أمور حدثت منه ، فلو كان القرآن من عنده لما أعلن عن هذه الآيات ولسكت عنها ، وستر على نفسه ، ولكنها سُجِلت كغيرها قراءناً يُتلى إلى قيام الساعة ^(١) .

أليس في القرآن الكريم سورة كاملة عنوانها (عَبَسَ) ومن آياتها قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَا مَنْ أَسْتَفْتَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ﴿٧﴾ وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ بَسَعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْفَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾ ﴾ [عبس : ١- ١٠]

وقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ

الْكذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣]

(١) المستشرقون والقران الكريم لمحمد أمين بني عامر ، ص ٢٢٢ .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ مَن يَغْلِبُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦١].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧].

وغير ذلك من الآيات . فهل يُعقل أن يؤلف محمد الكتاب ثم يوجه العتب إلى نفسه ؟ حوادث عديدة قام بها محمد -عليه الصلاة والسلام- آنفاً مع أصحابه ثم تبدلت في نص القرآن فلم يجد في نفسه غضاضة، فلو كان القرآن من عنده لما قام بها ودونها، لغيرها ولعمل الأُنس بدون تسجيل الحادثة^(١).

يقول الشيخ / محمد عبد الله دراز (١٨٩٤ - ١٩٥٨) : أرأيت لو كانت هذه التقريرات المؤلمة صادرة عن وجدانه معبرة عن ندمه و وخزة ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه ، أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع ؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه ، واستبقاء لحرمة أرائه ؟ بلى إن هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه لكان يستطيع عند

(١) الإسلام في قفص الإتهام لشوقي أبو خليل ، ص ٢٧ - ٢٨ .

الحاجة إن يكتف من ذلك الوجدان . ولو كان كاتماً شيئاً لكتف أمثال هذه الآيات ، ولكنه الوحي لا يستطيع كتفانه^(١) .

سادساً : لو كان القرآن من صنع محمد لعرف العرب ذلك من خلال أسلوبه

أن القرآن لم يأت الناس من الخلف ، بل جاءهم من أوسع الأبواب ودخل عليهم من طريق العرب الخلف ، ذوي السن والبيان . وتحدهم من الناحية التي نبغوا فيها وهي صناعة الكلام ، تلك الصناعة البيانية الفائقة التي وقفوا عليها ومواهبهم وأنفقوا فيها حياتهم ، حتى صارت موضع تنافسهم وسبقهم ، وموضوع فخرهم شأن معجزات الله تعالى : لم تأت الناس إلا من الناحية المفهومة لهم كل الفهم ، وذلك ليظهر أمر الله واضحاً جلياً ، لا لبس فيه ولا غموض ، ولا شبهة ولا شكوك . ومن هنا نعلم ، والتاريخ يشهد ، إن القرآن لو كان مصدره نفس محمد - كما يقول أولئك المستشرقون - لأمكن هؤلاء العرب البارزين في البيان أن يعرفوا أنه كلامهم ، بما أوتوا من ملكة النقد ، وما وهبوا من نباهة الحس والذوق ، ثم لأمكنهم أن يجاروه ولو شوطاً قريباً إن لم يمكنهم مجاراته شوطاً بعيداً . لاسيما أن القرآن قد اكتفى منهم في معرض التحدي بأن يأتوا بسورة من مثل أقصر سورة ، أي بمثل ثلاث آيات قصار من بين تلك الآلاف المؤلفات التي اشتملت عليه الكتاب العزيز^(٢) .

سابعاً : اشتغال القرآن الكريم على أخبار الغيب السابقة واللاحقة

(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم لمحمد عبدالله دراز ، ص ٥٥ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، ج ١ / ص ٨٦ .

أرى -والله أعلم- أن في اشتغال القرآن الكريم على الأخبار والأحداث السابقة واللاحقة أكبر دليل على أن هذا القرآن الكريم إنما هو كلام الله تعالى وحده، لا يشاركه في تأليفه أحد لأنبي مرسل، ولا ملك مقرب . فمن أين لمحمد- صلى الله عليه وسلم- العلم بما مضى من قصص وأخبار وأحداث . بل العلم بما سيأتي من حوادث ونوازل . ألا يدل كل ذلك على أن قائل القرآن هو صاحب العلم المطلق الذي لا يحده حدّ ، ولا يقيدته قيد .

ثامناً : اشتغال القرآن الكريم على أوجه الإعجاز التي تثبت مصدره الإلهي

لقد اشتملت آيات القرآن الكريم على وجوه الإعجاز التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلهما . فأول هذه الأوجه و أقربها لعقلية وقدرات العرب كان الإعجاز البلاغي . فلا يجهل أحد ما وصل إليه العرب من بلاغة وفصاحة جعلتهم يقدسون الشعر ويجلّونه حتى أنهم كانوا من تقديسهم له يعلقون ما جلّ منه على أستار الكعبة تقديراً وتخليداً له . ولكن نجد أنهم مع كل ما أوتوا من فصاحة وبيان فقد وقفت أقلامهم صاغرة عاجزة أمام فصاحة القرآن وبلاغته . فإذا أثبت العرب عجزهم عما برعوا فيه وفاخروا به فلعجزهم عما لم يبرعوا فيه من باب أولى . أما عن إعجاز القرآن التشريعي فلا يشك أحد أنه مما ثبت أن هذا الكتاب هو كلام الله وحده . فقد اشتمل هذا القرآن على التشريعات والقوانين والنظم التي تعجز دساتير الحكّام ، ونُظُم الملوك على سنّ قوانين وتشريع شرائع تضمن سعادة وتماسك البلاد والعباد كما سنّها وشرعها هذا الكتاب العظيم . أما عن الإعجاز العلمي فلا يشك عاقل أنه أكبر دليل على أن مصدر هذا القرآن هو الوحي الإلهي ، وليس محمد -صلياً لله عليه وسلم- ذلك النبيّ الأُمّيّ الذي لا يتصور العقل بما لعلنا لأحوالنا أنيؤلف كتاباً يحتوي بيّنات كثير من المسائل العلمية الـ

تياكتشفها العلماء الحديث بل لايزال يكتشفها كلما تقدم وتطور . فمن أين لمحمد -صلى الله عليه وسلم- العلم بقوانين الذرة، وتطور مراحل الجنين، وانخفاض الأوكسجين المؤدي لضيق التنفس في طبقات الجو العليا .. ، وغير ذلك من أمثلة الإعجاز العلمي التي لا تحفى لذي علم . فهل بعد هذا يقال أن القرآن كلام محمد -صلى الله عليه وسلم- حقاً إن هذا لا يقوله عاقل منصف .

تاسعاً : لو كان القرآن الكريم حقاً كلام محمد لكان في نسبته لنفسه عزّ وشرف له ، ومع ذلك لم يفعل

لقد أقرّ بعضة القرآن الكريم كل من اطلع عليه ، سواء كان مؤمناً به ، أم غير مؤمن . وشهد الأولياء والأعداء على حدّ سواء بأن القرآن الكريم قد جمع بين دفتيه أعظم القوانين والنظم التي تضمن السعادة للإنسان بل الشعوب على مختلف العصور والدهور . وفي مقاييس البشر أن من ألف كتاباً يُشار إليه بالبنان لا شك أنه يفخر ويتباهى به في مجالسه وأمام أقرانه . بل يقيم الدعاوى القضائية والمرافعات الحكومية إذا نُسب إلى غيره . فما بالناس إذا بلغ هذا الكتاب من شهرته الأفاق ، وشهد بإعجازه الإنس والجن كالقرآن الكريم فلو كان هذا القرآن الكريم من تأليف محمد -صلى الله عليه وسلم- ألا يفخر بنسبته إلى نفسه، ويُباهي ويُفاخر بذلك . ولكنه -صلى الله عليه وسلم- لم يفعل ذلك . ولم يقل إلا أن القرآن الكريم كلام الله تعالى أنزله عليه . فكيف بعد ذلك يقول المستشرقون أن مصدر القرآن هو محمد -صلى الله عليه وسلم- ، وأنه مؤلفه وكاتبه . إن هذا مما ينكره العقل والقلب معا .

عاشراً : شهادة العادلين والمنصفين من المستشرقين أنفسهم

لقد ذكر بعض المنصفين من المستشرقين شهادات عادلة حول إثبات مصدرية القرآن الكريم وأنه كلام الله لا تأليف محمد -صلي الله عليه وسلم- ، وأنقلها هنا لا من باب الاستشهاد أو الاحتجاج بها وإنما من باب (وشهد شاهد من أهلها) .

يقول المستشرق الدكتور / شبس : (يعتقد بعض العلماء أن القرآن كلام محمد وهذا هو الخطأ المحض فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محمد ، وليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء و يهدى به الناس من الظلمات إلى النور ، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة . لا تعجبوا فإني درستُ القرآن فوجدتُ فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكمة ، وتلك البلاغة التي لم أر مثلها قط ، فجملة واحدة تُغني عن مؤلفات)^(١) .

تقول الدكتورة : لورا فيشيا فاغليري (L. VecciaVaglieri) (١٩٨٩ - ١٨٩٣ م) -
أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة في جامعة نابولي بإيطاليا - : " فإلى الكتاب العزيز الذي لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ، ولا أعداؤه ، لا المثقفون ، ولا الأميون ، ذلك الكتاب الذي يبلية الزمان ، والذي لا يزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمي البسيط آخر الأنبياء حملة الشرائع إلى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع المسلمون حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب "^(٢) .

(١) سيرة سيد المرسلين لمحمود المتوفي ص ١٨ - ١٩ .

(٢) هل محمد عبقرى مصلح أم نبي مرسل لمحمد شيخاني ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

أحد عشر) جودة السبك ، وكمال النظم ، وعدم التناقض أو التعارض الفكري قلتُ : إن الإنسان وإن بلغ ذروة البلاغة ، وقمة الفصاحة لا يمكن لقدراته البشرية أن تأتي بثلاثة من الأساليب الكلامية تشكل ثلاث درجات هرمية في الفصاحة والبيان . ثم يقول هذا قرآن كريم ، وهو في أعلى هذه الدرجات ، وهذا حديث قدسي وهو في الدرجة الثانية ، وأخيراً هذا حديث نبوي وهو في الدرجة الثالثة . كما أن الإنسان مهما بلغ من الفصاحة والبيان لا يمكن له أن يؤلف مؤلف على مدى ثلاث وعشرين سنة ، ومع ذلك لا يوجد في هذا الكتاب أي نسبة ولو ضئيلة من التعارض أو التفكك ، أو عدم السبك . تتكرر فيه القصص والأخبار دون أن تجد أي خلل أو تناقض في أحداثها . فمن يقول بعد كل ذلك أن هذا القرآن من كلام البشر: ﴿يَهْدَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ .

الخاتمة

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، الحمد لله بجميع محامده ما علمتُ منها وما لم أعلم ، على جميع نعمه وآلائه ما علمتُ منها وما لم أعلم . الحمد لله الذي زين جيد الزمان بقلائد الآيات ، وطرز جلاباب البلاغة بفصوص الكلمات المنزلات . والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للبريات .

وبعد : أحمد الله الذي وفقني لإتمام هذا البحث ، وأسأله سبحانه أن أكون قد وفقْتُ في الوصول به إلى الغايات المنشودة . الأهداف المأمولة .
ويتلخص البحث فيما يلي :

- (١) التعريف بالمستشرق الانجليزي جورج سيل (George Sale) .
- (٢) تفصيل شبهة سيل الواردة في ترجمته مع الرد عليها .

و من نتائج البحث :

(١) أن هذا المستشرق قام بأول ترجمة مشهورة للقرآن الكريم الى الإنجليزية ، وهذا الترجمة تمت إعادة طباعتها ونشرها في العصر الحديث .

(٢) أن ضرر المستشرقين من خلال غزوهم الفكري والثقافي ، يعد من أشد حروبهم الفكرية على العالم الإسلامي .

وأوصي بأن تتوجه جهود المهتمين بالدراسات القرآنية إلى البحث في كل ما يتعلق

بالدفاع عن القرآن الكريم ، ولا سيما شبهات المستشرقين ، ومحاولة الرد على شبهات . لأن

الدراسة القرآنية بحاجة ماسة إلى توظيف هذا العلم توظيفاً كاملاً للدفاع عن القرآن الكريم .

هذا والله أعلى وأعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .